Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قـابيل باق ، وإن صـارت حجارته سيفاً ، وإن عـاد نـاراً سيفـه الخذم
ورد هـابيل مـا قضـاه بـارئه عـن خلقـه ، ثم ردت باسـمـه الأمـم
واليوم في حـين وَفَّ الـدينَ غارمُه إلاّ بقـايا ، وكـادت تخلص الأمـم
مشى عـلى الأرض خلـق عاش في دمه من وحشها ـ في المخـاض الأول ـ الضرم

فهو يفسر رؤيتها في التطور عبر تطور سلاح العدوان : الحجر ـ السيف ـ القنبلة الذرية ، ويشرح رؤيتها في أهل هيروشيما أنهم تكرار لمأساة هابيل ، ثم يعود إلى التطـور مرة ثانية فـيردد مقولتها في « الدفـء » أو ما يسميه « الضرم » المتـوارث في الأحياء منـذ الحلقـات الأولى للعنف الوحشي السافر ، إلى ما يحمله إنسان الحضارة الميكانيكية في دمه من حرارة نالها إرثاً عن أسلافه الوحوش في الأشكال الأولى من الحياة على الأرض .

ولـم يخرج الجزء الثالث من القصيدة ـ وهو : حقائق كالخيال ـ عن الإطار السيتولي السابق في الجزء الثاني . والسياب يقدم هذا الجزء بقوله : « المتحدث في هذه القصيدة مريض في مستشفى الصليب الأحمر في هيروشيما ، مصاب بالزهري الذي افترس دماغه حتى عاد يتخيل أشياء لا وجود لها ولكنه خلال أوهامه ودون وعي منه يصور جانباً مما حدث في هيروشيما حين ألقيت عليها القنبلة الذرية » .

وتقف هذه الحاشية غريبة ومحيرة في هذا الموضع ، فهل قصد السياب إلى أن ما حدث في مأساة هيروشيما لا يمكن تصويره عبر منطق العقل فلجأ إلى منطق الجنون ـ إن صح التعبير ـ ؟ . أم رأى أن ـ المنهج السيتولي في التصوير الشعري غريب عن المتلقى العربي فأراد عن طريق الإيحاء بتصورات المجنون أن يسيغ العقل العربي هذه القفزات الجامحة من بين الأشتات المختلفة لتكون منها صورة واحدة وإن تباعد طرفا الصورة ، أو أطرافها المتعددة .

كل هذا جائز ، ولكن الأهم من هذا كله أن السياب وقد أحس أن قيود المنطـق المرتـب المتسلسل قد عاقته عن مطاولة سيتول في جمع الأشتات المتباعدة في صور متلاحمة ، فأراد عن طريق الجنون أن يحقق ما أعجزه العقـل عن تحقيقـه ، وأن يسـوغ لنفسـه الإغـراب في تكوين الصور ، فساقه هذا إلى التورط في مبالغات أفسدت ما هدف إليه ، إذ إن سيتول لم تحقق النجاح عن طريق الإغراب وحده ، بل لم يكن الإغراب هدفاً لها . ولكنه جاء من المساحة الهائلة من المعارف التي جاء الإغراب من الجمع بينها وحشدها واستخدام مفرداتها المتناقضة منضودة في نسق واحد من الصور وهذا ما كان يفتقر إليه السياب بشكل أساسي . وإلاّ ، فإن السياب قد استطاع عن طريق استخدامه بعض معرفته في نشيد « هياي كونغاي ، كونغاي » أن يصل ـ بعيداً